

منفرجة الاسفل ثم شاهد ثياب اهل البلاد المعتدلة متوسطة بين السمة والضيق وثبتت ان اهل البلاد الباردة لا يلبسون الا الثياب الضيقة التي لا ينفذها الهواء . فقال في نفسه : ان الثوب رأى ان لابس في البلاد الحارة يحتاج الى الهواء . فانسع ، ثم رأى ان صاحبه لا يحتاج الى ذلك بالقدر المذكور في البلاد المعتدلة فضايق قليلاً . ثم رأى ان البرد يقرس الرجل اذا كان عليه ثياب فضفاضة فضايق وتجمع حتى لا يسبب صاحبه البرد . وعلى هذا تبين ذكاء الثوب اذ طابق حاله دائماً لحالة البيئة التي وجد فيها . قلنا : ومن لا يرى سقم هذا الاستدلال ؟ أفلو عكس المستدل هذا التعبير اما كان القرب الى الصواب . أفليس صاحب الثوب هو الذي رأى مناسبة قطعه على تلك الصور الثلاث المختلفة تطبيقاً لها على مقتضيات اختلاف حالة الجو ؟ فليتأمل العاقل ولينصف في قوله .

وصف مدافن البحرين وصفاً مفصلاً

Description de la Nécropole de Bahreïn.

كل مدفن يشتمل على غرفتين كبيرتين الواحدة فوق الاخرى مبنية من قطع صخر ضخمة ولا يمدد انها قد قطعت «من جبل الدخان» الواقع في صحراء بيضاء ويوجد فيها ايضاً على جوانبها غرف وممار مسيجة بطين على غاية الاتقان ولا يوجد عقود اودعائم ويظهر ان الغرف قد بنيت قبل ان بنى سائر ما يحيط بها من البناء . وهذا البناء محكم بحصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصفار الحجارة وكأن هذه المدافن قد اقيمت لمقاومة الدهر وسد افاته فمحيط اساس اكبر التلال نحو خمسين ذراعاً وقد عثر القائد دورند على هيكل بشري في الغرف السفلى طوله نحو تسع اقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف حجاج العين (الحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسراً عديدة . ان رؤيته بعض عظام الهياكل تدل على ان اصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر لنا انهم كانوا من وجوه الامة وسراة القوم وكان دفنهم يجري على خلاف ما كانت تدفن العامة على حد ما هو جارٍ اليوم عندما في دفن البطارقة والمطارنة والملانة والاساقفة وسائر الرؤساء الروحانيين بيد ان ذلك يحتاج الى بحث دقيق وفحص كثير وقد اكتشف حديثاً في المنعطفات

قطع من عظام بنى آدم . اما في الغرف العليا (الفوقانية) فقد وجد عظام كبيرة عدت من عظام حصان وايضاً قطع من معدن يشبه الصفر (النحاس الاصفر) والنحاس الاحمر وشقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعام ويضع آنية مصنوعة من العاج ونماثيل وغير ذلك من الادوات المختلفة الاشكال . وفي اراضي غرف بعض المدافن شي كثير من عظام اليربوع (واليربوع ضرب من الحيوانات يشبه الجرذ ويكثر في صحاري الخليج) وفي تلك القبور مقادير وافرة من العظام الصفراء قد دفنت هناك منذ قرون عديدة وقد نبت اغلب تلك الغرف تنقياً دقيقاً طمأ في العشور على اثار ذات شان جليل ولكن جل ما وجد فيها قايا سحف وستائر قد تحولت الى كوم من تراب اطول عهدا وهناك ايضاً قطع اخشاب قد نخرها السوس والديدان .

اما البناء فهائل جداً وجرمه عظيم لكن لم يثر فيه على الادوات التي كانت تتخذ في الحفر والبناء بل ولم يثر على رسوم او نقوش او كتابه بيد ان هناك شقوقا واخاديد ونوعاً من الخنادق القليلة القور قد حفرت حول اساس كل مدفن .

ان اول من فتح تلك المدافن وبشر بالحفر والتقيب فيها هو المنكب (البوزباشي) الباسل دورند وذلك في سنة ١٨٧٩ ولا تسأل عن الصعوبات والمشقات التي لاقاها في سبيل الوقوف على اثار تلك الديار وقد نال اخيراً بثيثة التي كان يتوخاها اذ حصل هل معارف واقدان حجة وذلك بينما هو مجتهد في عمله وسائر على الحطة التي اختطها باغته سفينة حربية انكليزية فساعدته ربانها الهمام كل المساعدة ولم يمهده فقط بفريق من نوحيته ليساعده في التقيب والتقيب بل عرض عليه اراء جليظة تذلل العقبات والمشاكل وتجهده له السبل للحصول على ما كان يدور في خلاءه وقد اشار عليه ان يتخذ وسائل النصف داخل احدى الغرف المفتوحة ليزيل عنها سطحها ويتسنى له الوقوف التام على محتوياتها ولكن النتيجة لم تأت بالمطلوب لان سقف الغرفة المذكورة سقط في باطنها وكان في ذلك نهاية اعمال البطل دورند اذ على أثر ذلك دعاه اولو الربط والحمل لينقل زمام وظيفته اخرى في محل آخر وفي سنة ١٨٨٩ خلفه الفاضل بنت

ومعه عقيلته واخذ بالحفر والتنقيب وقد فكتا مدفين متوسطي الحجم ومنذ ثمانى اوتسع سنوات زار جماعة من علماء بلجيكة البحرين وتفتقدوا القبور ففتحوا احدها ولم يتصل به نتائج ابحاثهم .

ومن عنى بالحفر ايضاً عامل بريطانيا العظمى فى البحرين المنكب (اليوز باشى) بريدكس Pridaux وقد حفر بقرب « قرية على » واشتغل فيها عدة اسابيع وفعل مثل ذلك فى « منامة » وكان قد ضرب له فى وسط المدافن خيمة يتردد اليها من وقت الى آخر . وجعل طائفة كبيرة من الرفات وبعض قطع من العظام البشرية وغيرها من الاثار وقد امت بها الى دار التحف فى لندن .

كم من امة طرقت ذلك الطريق لوجه الحداثة الموعنة ووقف ابنائها ونحبة من افرادها حاسرى الطرف مشتقى الافكار لا يبدون حراً كما لما دامهم من الاضطراب والقلق بخصوص اسرار تلك المدافن المبهمة فخطوات اقدامهم تردد امام مخيلتنا القرون المنصرمة ودوى آثار ايديهم ترون فى آذان الادهار الفائرة واحداثهم عهداً بها الانكليز وقد سبقهم اليها البرتغاليون فالعرب فالفرس فالهنود فالرومان فاليونان فالغنيقيون فالبابليون فالكلدانيون فاصحاب الرؤوس السود الذين هم اول من مد رواق المدن والعمران البشرى على وجه البسيطة وعليه يكون تاريخ بلاد اليونان حديثاً جداً بالنسبة الى تاريخ مسقط راس العالم الانسانى ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك اس بحايه هذاكم من امة وقبيلة وشعب ولسان ودولة زالت وانقرضت وامست فى خير كان واما تلك المدافن فشاخصه قائمه بنزها ومجدها كما كانت منذ اول بنائها اذ انياب الدهر ومخالب طوازي الزمان لم تقو على ملاشتها وانائها من على سطح الكرة الارضية وهى واقفة على اركانها الضخمة تسخر مرور الايام وكرور الاعوام فسبحان من بيده البقاء والخلود والفناء والوجود .

فى كل مكان وفى كل زمان ا
رزوق عيسى